موجز جغرافية بلاد الشام

لعل أهم ما يميز جغرافية البلاد السورية أنها مؤلفة من بقاع واطئة ومناطق جبلية مرتفعة تتجه بوجه عمودي من الشمال الى الجنوب فيمكن تمييز خمسة مناطق بين البحر والبادية وهي ابتداءا من البحر ما يأتي :

(1) المنطقة الساحلية (2) منطقة جبال لبنان الغربية (3) شقة منخفضة واطئة مثل سهل البقاع وطبرية (4) منطقة جبال لبنان الشرقية وجبل الشيخ (5) البادية .

تمتد المنطقة الأولى على الساحل الشرقي من البحر المتوسط من طور سيناء في الجنوب الى خليج الاسكندرونة في الشمال ، وهي منطقة ضيقة محصورة بين البحر والجبال ، تبلغ اكبر سعة لها في الشمال والجنوب ولكنها تكون ممر غير متسع في سفوح جبال لبنان ، ففي بعض المواضع لا يزيد سعتها على أكثر من أربعة أميال وأحيانا ميل واحد ولكنها تبلغ عند عسقلان زهاء عشرين ميلا كما أن ارتفاع الجبال بمحاذاة الساحل يكون في بعض المواقع ارتفاعا حادا وعموديا ، ففي شمال بيروت بقليل يحاذي السهل الساحلي الضيق سفح جبل يرتفع زهاء 2500 قدم وعند مصب نهر الكلب الى الجنوب من الموضع الأول بنحو ثلاثة أميال يلامس الجبل البحر ويدخل فيه .

وفي الكرمل نجد ان لسان الجبل هنا قد أزال السهل الساحلي ، وتمتاز هذه الشقة الساحلية ببعض السهول المشهورة في العهود التاريخية بخصبها وخلوها من الخلجان باستثناء خليج الاسكندرونة . أما القسم الثاني والذي تمثله سلسلة الجبال والنجاد المرتفعة المطلة على الشقة الساحلية ، وتبدأ هذه المرتفعات من جبال أمانوس في الشمال وتمتد جنوبا الى طور سيناء وتكون سلسلة جبال لبنان الغربية بمثابة العمود الفقري لهذه المنطقة حيث تحيط به السهول والأراضي الواطئة المجاورة ، وتشكل هذه الجبال عائقا للمواصلات لتربط الساحل بالأراضي الشرقية الداخلية ، وهو حاجز لا يوجد له منفذ الا في نهايته المتطرفتين عند خليج الأسكندرونة حيث ينفذ منه من سفح جبال أمانوس الى سهول ما بين النهرين ، وفي خليج السويس حيث يؤدي الى البحر الأحمر أو الصحراء العربية . ويطوف أمانوس حول خليج الأسكندرونة مكونا حاجزا بين سوريا وكليكية يشق حده الجنوبي نهر العاصي عند مروره الى البحر وتعبر الجبل طرق تؤدي الى حلب وانطاكيا ، واكبر مجاز فيه مجاز بيلان المشهور بأسم الأبواب السورية ، وتستمر سلسلة جبال الأمانوس جنوب مصب العاصي حيث يتصل بها جبل الأقرع ويمتد الى قرب اللاذقية حيث يعرف بأسم النصيرية الى أن ينتهي في النهر الكبير الذي ينبع من هذه الجبال .

ويكون الان الحد بين لبنان وسورية كما انه يحد هذه الجبال عن جبال لبنان أي لبنان الغربي تمييزا لها عن جبال لبنان الشرقية (أنتي لبنان) . وجبال لبنان الغربية أهم جزء في هذا القسم من أقسام البلاد السورية .

وتعد فلسطين امتداد جغرافيا وجيولوجيا الى لبنان من ناحية امتداد الشقة الساحلية السهلية حتى تتصل بالسهل الممتد من الكرمل الى جنوب يافا ، وتشتهر السامرة بتلالها وجبالها ووديانها ، وأشهر جبالها الجبل الشمالي وتكثر في هذه المنطقة الجبلية الكهوف منها ما هو في لبنان وفي جبل الكرمل حيث عثر الباحثون على آثار الأنسان وبقاياه العظمية منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ .

أما القسم الثالث من أقسام البلاد السورية فهو السهول المنخفضة مثل البقاع الذي يستمر جنوبا الى الأردن والبحر الميت ثم يمتد الى العقبة ، وهو اللسان الشرقي من البحر الأحمر ، ومن أقسامه وادي الاردن الذي يبلغ طوله 65 ميل ويتراوح عرضه ما بين 3 – 15 ميل ، يفرغ مياهه في البحر الميت وهي بحيرة مالحة شديدة المرارة .

يتألف القسم الرابع من سلسلة الجبال الشرقية حيث يبدأ ارتفاعها جنوب حمص ويكون ارتفاعها وطولها مقاربة لجبال لبنان الغربية حيث تعرف باسم جبال أنتي لبنان أو لبنان الشرقي ، ثم تبدأ بالأنحدار من جبل الشيخ الى نجد حوران الذي تحاوده منطقة التلال في الجولان حيث تستمر في شرقي الأردن بمرتفعات جلعاد ، وتتصل بنجد وأقليم آدوم (سعير) جنوبي البحر الميت ، ومن أنهار هذ القسم نهر بردى الذي يقسم هذه المرتفعات الى قسمين : الغربي وهو أجرد عديم القرى والسكنى ، والجنوبي من أشهر مرتفعاته جبل الشيخ الذي يعد من أعلى المرتفعات السورية وهو مزدهر بالسكنى والقرى في سفوحه الغربية . ويمتاز لبنان الشرقي بوجه عام بقلة أمطاره مما جعله أقل استيطانا من جبال لبنان الغربية ، وتدل البقايا الأثرية في هذا الأقليم التي تبدأ من عصور ما قبل التاريخ الى العهد الروماني والبيزنطي على أهمية هذه البقعة الزراعية حيث لا تزال بقابا الطرق والممرات والقنوات والخزانات من العهود الرومانية .

تمثل بادبة الشام القسم الخامس من الأقسام الجغرافية في بلاد الشام ، وهي امتداد لصحراء بلاد العرب الكبرى التي تفصل بلاد الشام عن العراق ، ويعرف القسم الجنوبي من هذه البادية بأسم بادية العراق أو السماوة . يتميز المناخ في بلاد الشام بمواسم أمطار وجفاف ، فيبدأ فصل المطر من منتصف تشرين الثاني الى نهاية آذار ، ثم يعقبه فصل الجفاف طيلة أيام السنة